النِّسَاءُ فِي القُرْآنِ

السَّيِّدَةُ مَرْيَمُ

عَلَيْهَا السَّلَامُ

تأليف: محمد المطارقي

رسوم: محمد نبيل

تدقيق: قسم اللغة بالدار

إشراف فني وجرافيك: سمر قناوي

المطارقي، محمد.

السيدة مريم

تأليف/ محمد المطارقي، ـ الجيزة

شركة ينابيع، ٢٠١٦

ص؛سم ـ (سلسلة النساء في القرآن)

تدمك: ٩٧٨ ٩٧٧ ٤٩٨ ٣ ٦٣٤

١- قصص الأطفال

٢-قصص القرآن

٣- النساء في القرآن

أ- العنوان: ١١ش الطوبجي-الدقي-الجيزة

رقم الإيداع: ١٠١٧٧/ ٢٠١٦



كَانَتِ السَّيِّدَةُ الصَّالِحَةُ "حَنَّةَ" تَتَأَمَّلُ السَّمَاءَ وَالأَشْجَارَ، وَهِيَ تَذْكُرُ اللهَ - عَزَّ وَجَلَّ - وَتُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ، حِينَ عَانَقَتْ عَيْنَاهَا فَجْأَةً مَنْظَرًا بَدِيعًا لِطَائِرَينِ وَدِيعَينِ يَتَلَمَّسَانِ الحَبَّ بَيْنَهُمَا. وَفَرْخُهُمَا الصَّغِيرُ يَخْفُقُ بِجَنَاحَيهِ فِي سَعَادَةٍ وَمَرَحٍ.

فِي هَذِهِ اللَّحْظَةِ، شَعَرَتْ هَذِهِ السَّيِّدَةُ بِشَوْقٍ جَارِفٍ لأَنْ تَحْمِلَ، وَلأَنَّهَا امْرَأَةٌ صَالِحَةٌ فَقَدْ تَمَلَّكَهَا هَذَا الشَّوْقُ لا لِشَيءٍ إلا لِيَكُونَ هَذَا الابنُ الَّذِي تَتَمَنَّاهُ عَابِدًا للهِ، خَادِمًا لَهُ فِي بَيْتِهِ المُقَدَّسِ.

انْظُرُوا أَيُّهَا الأَصْدِقَاءُ وَالصَّدِيقَاتُ..هَا هُوَ زَوْجُهَا التَّقِيُّ الوَرِعُ "عِمْرَانُ" إِمَامُ العُبَّادِ وَشَيخُهُمْ بِالمَسْجِدِ يُصَلِّي، وَيَتَقَرَّبُ إِلَى اللهِ - عَزَّ وَجَلَّ - بِالدُّعَاءِ أَنْ يُسْعِدَ قَلْبَ زَوْجَتِهِ وَأَنْ يُحَقِّقَ لَهَا مَاتَتَمَنَّاهُ مِنَ



الخَيرِ. هَذَا الشَّيْخُ الصَّالِحُ "عِمْرَانُ" أَيُّهَا الأَصْدِقَاءُ وَالصَّدِيقَاتُ هُوَ سَلِيلُ أُسْرَةٍ طَاهِرَةٍ مُبارَكَةٍ.. اصْطَفَاهَا اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ- بِالْخَيْرِ وَالصَّلاحِ. نَعَمْ، لِـمَاذَا لا يَكُونُ لَهُمَا وَلَدٌ يَكُونُ مِلْكًا خَالِصًا للهِ.. وَهَكَذَا رَاحَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ تَدْعُو اللهَ - عَزَّ وَجَلَّ - مِنْ صَمِيمِ قَلْبِهَا أَنْ يَرْزَقَهَا هَذَا الوَلَدَ الصَّالِحَ، وَأَخَذَتْ عَلَى نَفْسِهَا عَهْدًا وَمِيثَاقًا لَوْ أَنَّهَا رُزِقَتْ بِهِ فَسَوْفَ تَهِبُهُ ـ بِكُلِّ حُبٍّ ـ لِبَيتِ الـمَقْدِسِ.

فَلَـمَّا تَقَبَّلَ اللهُ دُعَاءَهَا، وَتَحَرَّكَتِ البِذْرَةُ فِي أَحْشَائِهَا جَدَّدَتِ العَهْدَ مَرَّةً أُخْرَى. ويَقُصُّ اللهُ - تَعَالَى - عَلَيْنَا هَذِهِ القِصَّةَ فِي القُرْآنِ الكَرِيمِ مِنْ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ، فَيَقُولُ تَعَالَى:﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿35﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وِإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿36﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا



نَبَاتًا حَسَنًا﴾. كَانَتْ مُفَاجَأَةٌ لِلسَّيِّدَةِ "حَنَّةَ" أَنْ يَكُونَ الـمَولُودُ "أُنْثَى"؛ فَهِيَ تَعْلَـمُ أَنَّ خُدَّامَ بَيْتِ الـمَقْدِسِ كُلُّهُمْ مِنَ الرِّجَالِ، فَهُمْ وَحْدهُمْ الَّذِينَ يَمْلِكُونَ القُدْرَةَ عَلَى سَدَانَةِ (خِدْمَةِ) البَيْتِ وَرِعَايَتِهِ. لَكِنَّهَا عَلَى أَيَّةِ حَالٍ إِرَادَةُ اللهِ، وَلَيْسَ عَلَيْهَا إِلا أَنْ تُوَفِّيَ بِنَذْرِهَا، وَاللهُ سُبْحَانَهُ يَرْعَاهَا وَيَحْفَظُهَا بِمَا يَحْفَظُ بِهِ عِبَادَهُ الصَّالِحِينَ. وَسَمَّتِ الـمَوْلُودَةَ "مَرْيَمَ"، وَهُوَ اسْمٌ يَعْنِي بِالعِبْرِيَّةِ: "العَابِدَةَ". وَلَـمَّا انْتَهَتْ أُمُّ مَرْيَمَ مِنْ إِرْضَاعِ ابْنَتِهَا مَرْيَمَ ذَهَبَتْ تُقَدِّمُهَا إِلَى بَيْتِ الـمَقْدِسِ.



يَا صَدِيقِي تَسْأَلُ وَأَيْنَ زَوْجُهَا الصَّالِحُ الشَّيخُ "عِمْرَانُ"؟.. لَقَدْ تُوفِّيَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يرَاهَا، فَلَـمَّا رَآهَا إِخْوَانُهُ مِنْ عُبَّادِ الـمَسْجِدِ سَعِدُوا بِهَا، وَتَمَنَّى كُلٌّ مِنْهُمْ أَنْ لَوْ تَمَكَّنَ مِنْ أَخْذِهَا لِيَكْفُلَهَا وَيَتَوَلَّى رِعَايَتِهَا، فَهِي ابْنَةُ سَيِّدِهِمْ وَإِمَامِهِمْ "عِمْرَانَ"، وَهِي سَلِيلَةُ البَيْتِ الطَّاهِرِ الَّذِي أَخْرَجَ الأَنْبِيَاءَ وَالصَّالِحِينَ.

وَمِنَ الـمُؤَكَّدِ أَنَّ البَرَكَةَ سَتَحِلُّ عَلَيْهِمْ بِفَضْلِ هَذِهِ الصَّغِيرَةِ. لَكِنَّ نَبِيَّ اللهِ زَكَرِيَّا - وَالَّذِي كَانَ زَوْجًا لِخَالَتِهَا - تَقَدَّمَ لأَخْذِهَا، فَتَزَاحَمُوا عَلَيْهِ وَاعْتَرَضُوا أَنْ يَنَالَ هُوَ هَذَا الخَيْرَ دُونَهُمْ. بِالطَّبْعِ كَانَ الأَوْلَى بِهَا زَكَرِيَّا عَلَيْهِ السَّلامُ، وَذَلِكَ لِكَوْنِهِ نَبِيَّهُمْ وَأَفْضَلَهُمْ جَمِيعًا إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَمِنْ نَاحِيَةٍ أُخْرَى فَهُوَ زَوْجُ خَالَتِهَا، وَالخَالَةُ بِمَنْزِلَةِ الأُمِّ.. لَكِنَّهُمْ أَصَمُّوا آذَانَهُـمْ، وَأَصَـرُّوا



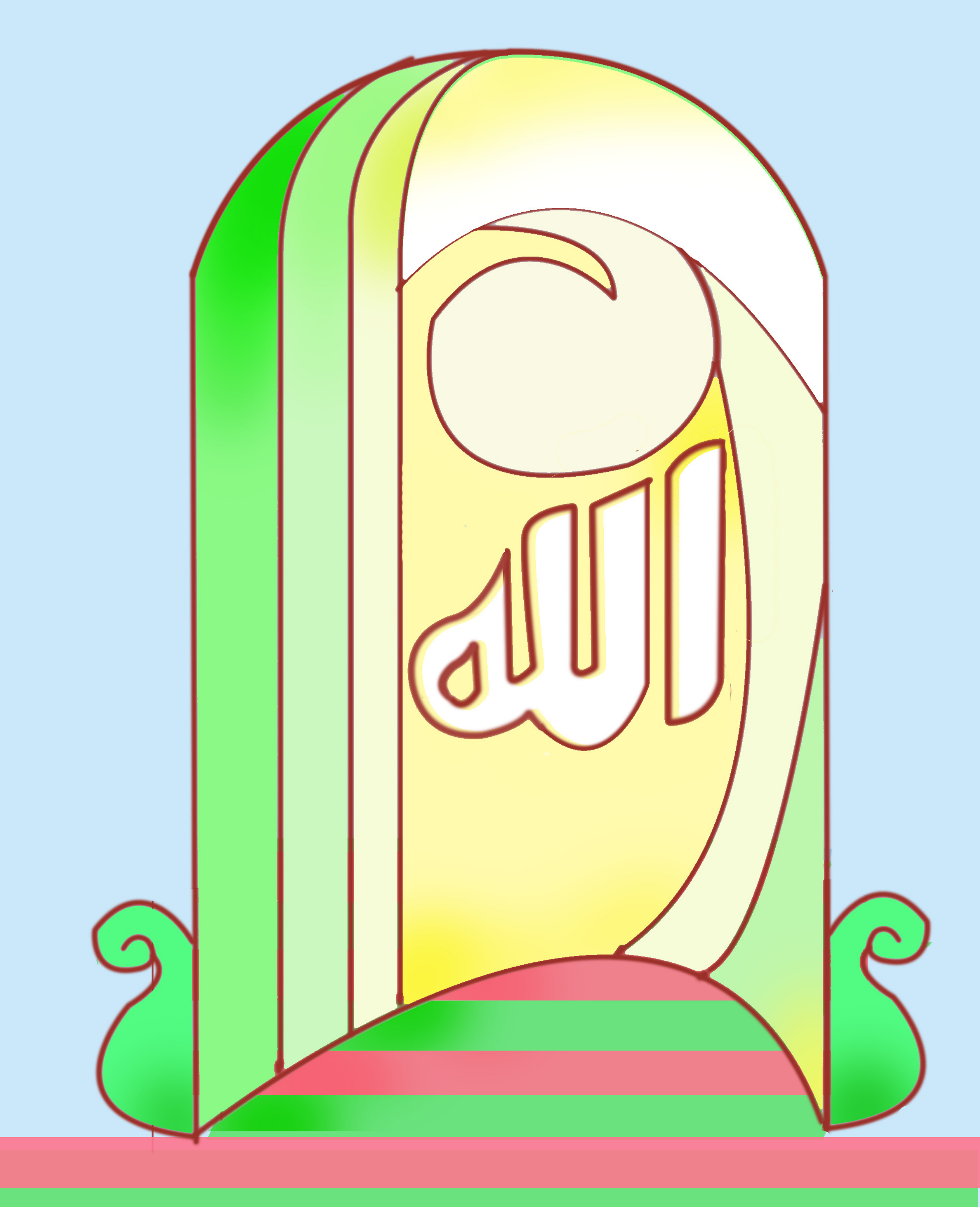
عَلَى الاسْتِهَامِ (القُرْعَةِ).
وَبِالْفِعْلِ يَا أَصْدِقَائِي، قَدَّمَ كُلٌّ مِنْهُمْ قَلَمَهُ الَّذِي يَحْمِلُ اسْمَهُ وَأَحْضَرُوا غُلامًا لَمْ يَبْلُغِ الحُلُمَ بَعْدُ، وَطَلَبُوا مِنْهُ أَنْ يَخْتَارَ قَلَمًا، فَكَانَ قَلَمُ زَكَرِيَّا - عَلَيْهِ السَّلامُ - هُوَ الَّذِي خَرَجَ فِي يَدِهِ.

يَا إِلَهِي.. لَقَد اعْتَرَضُوا مَرَّةً أُخْرَى.. وَقَرَّرُوا أَنْ يُلْقُوا بِأَقْلامِهِمْ فِي نَهْرِ الأُرْدُنِ، وَالقَلَـمُ الَّذِي يَسِيرُ عَكْسَ تَيَّارِ الـمَاءِ يَكُونُ صَاحِبُهُ هُوَ الأَحَقُّ بِهَا. وَلَـمَّا كَانَ نَبِيُّ اللهِ زَكَرِيَّا هُوَ الَّذِي تَغَلَّبَ عَلَيْهِمْ مَرَّةً ثَانِيَةً وَثَالِثَةً. اضْطَرُّوا جَمِيعًا لِلتَّسْلِيمِ، وَرَضَخُوا لِلأَمْرِ الوَاقِعِ، وَعَلِمُوا أَنَّهَا مَشِيئَةُ اللهِ "وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا عَلَيْهِ السَّلامُ".
قَالَ اللهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾ ﴿44﴾.



كَانَ أَوَّلُ مَا فَعَلَهُ نَبِيُّ اللهِ زَكَرِيَّا عَلَيْهِ السَّلامُ بَعْدَ أَنْ صَارَتْ الطِّفْلَةُ "مَرْيَمُ" - عَلَيْهَا السَّلامُ - فِي كِفَالَتِهِ أَنِ اتَّخَذَ لهَا مَكَانًا خَاصًّا لِلتَّبَتُّلِ وَالعِبَادَةِ، مَكَانًا بَعِيدًا عَنِ الأَعْيُنِ حَتَّى تَسْتَطِيعَ أَنْ تَعْبُدَ اللهَ - عَزَّ وَجَلَّ - وَهِيَ فِي غَايَةِ الاطْمِئْنَانِ، وَكَانَتْ مَرْيَمُ تَقُومُ بِسَدَانَةِ البَيْتِ، وَوَصَلَتْ بِصَفَائِهَا وَنَقَائِهَا وَرِقَّةِ قَلْبِهَا إِلَى أَقْصَى دَرَجَاتِ السُّموِّ وَالارْتِقَاءِ.. رُبَّمَا لَمْ يَصِلْ إِلَيْهَا أَحَدٌ مِنَ العُبَّادِ فِي زَمَانِهَا، فَرَاحَتْ تُوَاصِلُ العِبَادَةِ للهِ - عَزَّ وَجَلَّ - لَيْلَ نَهَارَ، حَتَّى صَارَتْ مَضْرِبَ الأَمْثَالِ فِي الطُّهْرِ وَالعَفَافِ.




الله

وَكُلَّـمَا دَخَلَ عَلَيْهَا نَبِيُّ اللهِ زَكَرِيَّا الـمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا.. حَتَّى إِنَّهُ - عَلَيْهِ السَّلامُ - كَانَ يَجِدُ أَنْواعًا مِنَ الفَاكِهَةِ والأَطْعِمَةِ لَـمْ يَأْتِهَا بِهَا، وَرُبَّمَا لَـمْ تَكُنْ مَوْجُودَةً أَصْلاً فِي هَذَا الـمُوسِمِ أَوْ ذَاكَ مِنْ فُصُولِ السَّنَةِ. وَلَـمَّا أَخَذَتْهُ الدَّهْشَةُ، سَأَلَهَا عَنْ مَصْدَرِ هَذِهِ الفَاكِهَةِ وَغَيْرِهَا، أَجَابَتْهُ عَلَى الفَوْرِ: (إِنَّهَا مِنْ عِنْدِ اللهِ، فَهُوَ وَحْدَهُ الَّذِي يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ). قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَـذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿37﴾﴾. مَا كَادَتِ السَّيِّدَةُ الجَلِيلَةُ - الطَّاهِرَةُ الزَّكِيَّةُ - تَصِلُ إِلَى مَا وَصَلَتْ إِلَيْهِ بِفَضْلِ الطَّاعَةِ وَالعِبَادَةِ الخَالِصَةِ للهِ - عَزَّ وَجَلَّ - حَتَّى كَانَ هُنَاكَ أَمْرٌ شَدِيدٌ، جَلَلٌ، أَمْرٌ عَظِيمٌ يَنْتَظِرُهَا لِيُصْبِحَ مِنْ أَهَمِّ الأَحْدَاثِ الَّتِي حَدَثَتْ فِي تَارِيخِ البَشَرِيَّةِ وإِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ. أَتَدْرُونَ أَيُّهَا الأَصْدِقَاءُ وَالصَّدِيقَاتُ.. لَقَدْ جَاءَتْهَا البِشَارَةُ مِنَ الـمَلائِكَةِ بِأَنَّهَا سَتَكُونُ أُمًّا لِطِفْلٍ سَيُكَلِّـمُ النَّاسَ فِي الـمَهْدِ وَكَهْلاً.. وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ.. يَكُونُ مُبَارَكًا أَيْنَمَا كَانَ.



وَالعَجِيبُ أَيُّهَا الأَصْدِقَاءُ أَنَّ هَذَا الـمَوْلُودَ سَيَأْتِي بِدُونِ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَبٌ.. بِمَعْنَى أَنَّ السَّيِّدَةَ مَرْيَمَ - عَلَيْهَا السَّلامُ - سَوْفَ تَحْمِلُ وَتَضَعُ حَمْلَهَا بِدُونِ أَنْ يَكُونَ لَهَا زَوْجٌ، وَهَذَا مِنَ الـمُعْجِزَاتِ العَظِيمَةِ.. غَيْرَ أَنَّ السَّيِّدَةَ مَرْيَمَ حِينَ أَتَاهَا الـمَلَكُ جِبْرِيلُ - عَلَيْهِ السَّلامُ - فِي صُورَةِ إِنْسَانٍ وَبَشَّرَهَا بِذَلِكَ، شَعَرَتْ بِالحُزْنِ الشَّدِيدِ.. لأَنَّهَا تَعْلَمُ جَيِّدًا طَبِيعَةَ قَوْمِهَا، وَأَنَّهُمْ سَوْفَ يَظُنُّونَ فِيهَا الظَّنَّ السَّيِءَ، وَمِنَ الـمُؤَكَّدِ أَنَّهُمْ سَوْفَ يَتَّهِمُونَهَا بِالاتِّهَامَاتِ البَاطِلَةِ.

وَبِالفِعْلِ.. أَصْبَحَتِ السَّيِّدَةُ مَرْيَمُ حَامِلاً.. وَمَرَّتِ الأَيَّامُ، وَبَدَأَتْ عَلامَاتُ الحَمْلِ تَظْهَرُ عَلَيْهَا.. فَخَرَجَتْ مِنْ مِحْرَابِهَا بِبَيْتِ الـمَقْدِسِ، وَاتَّجَهَتْ إِلَى مَكَانٍ قَصِيٍّ.. بَعِيدٍ عَنْ أَعْيُنِ قَوْمِهَا حَتَّى تَضَعَ حَمْلَهَا.

لـمَّا أَتَمَّتِ السَّيِّدَةُ مَرْيَمُ - عَلَيْهَا السَّلامُ - مُدَّةَ الحَمْلِ وَوَضَعَتْ طِفْلَهَا كَمَا أَرَادَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، هَزَّتْ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ لِتَتَقَوَّى بِالرُّطَبِ وَتَشْرَبَ مِنْ عَيْنِ الـمَاءِ الجَارِيَةِ. ثُمَّ حَمَلَتْ رَضِيعَهَا وَهِيَ لا تَعْرِفُ مَاذَا يُمْكِنُ لهَا أَنْ تَفْعَلَ، حَتَّى إِنَّهَا فِي غَمْرَةِ هَمِّهَا





تَمَنَّتْ لَوْ كَانَتْ مَاتَتْ قَبْلَ هَذَا الحَدَثِ، أَوْ كَانَتْ "نَسْـيًا مَنْسِـيًّا"، فَلَـمْ تُخْـلَقْ أَصْلاً. لَكِنَّ اللـهَ - عَزَّ وَجَلَّ - أَرْسَلَ إِلَيْهَا مَنْ يَمْلأُ قَلْبَهَا طَمَأْنِينَةً وَأَمْنًا.. وَنَظَرَتْ إِلَى وَجْهِ رَضِيعِـهَا الَّـذِي يَتَـلأْلأُ بِـالرَّوْعَـةِ وَالجَمَـالِ، وَأَنْطَقَـهُ رَبُّـهُ.. فَـرَاحَ يُسَرِّي عَنْهَا (يُخَفِّفُ عَنْهَا وَيُنْسِيهَا حُزْنَهَا وَكَرْبَهَا)، وَيُثَبِّتْ قَلْبَهَا.

اطْمَأَنَّ قَلْبُ السَّيِّدَةِ مَرْيَمَ - عَلَيْهَا السَّلامُ - العَامِرُ بِالتَّقْوَى، فَتَوَجَّهَتْ بِرَضِيعِهَا - عَلَيْهِ السَّلامُ - فِي خُطًى ثَابِتَةٍ إِلَى قَوْمِهَا وَهِيَ تَحْمِلُهُ، وَقَدْ نَذَرَتْ للهِ صَومًا أَلا تَتَكَلَّمَ ذَلِكَ اليَوْمَ.

وَفِي لَمْحِ البَصَرِ كَانَ الخَبَرُ قَدْ شَاعَ وَانْتَشَرَ، فَتَجَمَّعَ النَّاسُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَعَلَى وجُوهِهِم ابْتِسَامَاتٌ خَبِيثَةٌ، وَنَظَرَاتٌ قَاتِلَةٌ.. الْتَفُّوا حَوْلَهَا وَرَاحُوا يَسْلُقُونَهَا (يَعِيبُونَهَا) بِأَلْسِنَتِهِمْ الحَادَّةِ القَاسِيَةِ، وَيَرْمُونَهَا بِأَبْشَعِ التُّهَمِ وَأَقْذَعِ الصِّفَاتِ.. لَكِنَّهَا صَبَرَتْ.



أَشَارَتِ السَّيِّدَةُ مَرْيَمُ - عَلَيْهَا السَّلامُ - إِلَى وَلِيدِهَا لِيَتَوَلَّى هُوَ الـمُهِمَّةَ بَدَلاً عَنْهَا، وَيُدَافِعَ عَنْهَا بِقُدْرَةِ مَنْ يَقُولُ لِلشَّيْءِ: كُنْ. فَيَكُونُ.. أَخَذَتْهُمُ الدَّهْشَةُ، وَقَالُوا لَهَا فِي تَهَكُّمٍ:

ـ وَكَيْفَ لَنَا أَنْ نُكَلِّـمَ طِفْلاً رَضِيعًا لايَزَالُ فِي الـمَهْدِ؟!!

لَكِنَّ الطِّفْلَ نَطَقَ كَأَفْصَحِ مَا يَكُونُ الكَلامُ، وَقَدَّمَ نَفْسَهُ بَعْدَ أَنْ حَمِدَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، إِنَّهُ: عَبْدُ اللهِ، آتَاهُ الكِتَابَ "الإِنْجِيلَ" وَجَعَلَهُ مُبَارَكًا؛ يُحْيِي الـمَوْتَى، وَيَشْفِي الـمَرْضَى، وَيُبْرِىء الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ، وَيَصْنَعُ الأَعَاجِيبَ وَالـمُعْجِزَاتِ بِقُدْرَةِ اللهِ تَعَالَى وَإِذْنِهِ.



عَاشَتِ السَّيِّدَةُ مَرْيَمُ - عَلَيْهَا السَّلامُ - حَتَّى رَأَتْ وَلَدَهَا - عَلَيْهِ السَّلامُ - وَقَدْ صَارَ نَبِيًّا يَدْعُو النَّاسَ إِلَى عِبَادَةِ اللهِ الوَاحِدِ الأَحَدِ، وَقَدْ تَحَمَّلَتِ الكَثِيرَ مِنَ الأَذَى بِجَانِبِهِ، حَتَّى تَآمَرَ اليَهُودُ عَلَيْهِ وَأَرَادُوا قَتْلَهُ وَصَلْبَهُ وَالتَّخَلُّصَ مِنْ دَعْوَتِهِ.. لَكِنَّ اللهَ - تَعَالَى - أَلْقَى صُورَتَهُ عَلَى أَحَدِ تَلامِذَتِهِ.. فَقَبَضُوا عَلَيْهِ وَصَلَبُوهُ مُعْتَقِدِينَ أَنَّهُ هُوَ الـمَسِيحُ عَلَيْهِ السَّلامُ، "وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ".

